لم أجدها
روايه
للكاتب
أ / مايكل يوسف سلوانس

بيانات الرواية

اسم الرواية :

لم أجدها

اسم الكاتب :

أ. مايكل يوسف سلوانس

تصميم الغلاف :

نورهان عصام همام

مراجعة لغوية :

د. أحمد السيد عمار

مقدم منى لإثبات تاريخ
مايكل يوسف سلوانس

اسم الرواية : لم أجدها

اسم الكاتب : مايكل يوسف سلوانس يوسف

الرقم القومي : ٢٨٨٠٩٠٨٠٣٠٠٢٧١

+ ملخص الأحداث :

وائل شاب يبلغ من العمر ٢٤ عاماً ، حصل على بكالوريوس التجارة شعبة محاسبة ، عمل بشكل مؤقت كفرد أمن بإحدى شركات القطاع الخاص ، كان يمتلك شقة متواضعة فى أحد الأحياء الشعبية فى مدينة الإسماعلية ، عزم على الزواج وأراد الاستقرار الأسري بأن تكون له زوجة وأولاد صالحون .

بدأ وائل محاولات جادة فى ذلك الموضوع ، حيث بدأ فى التقدم لبعض الفتيات ....

وفى كل مرة من هذه المرات لم يفلح وائل ، ولا حتى فى واحدة منها . أخذت الأسئلة تدور فى عقله ، سؤالاً تلو الآخر ...

هل الإنسان مخير أم مُسيَّر فى موضوع زواجه هذا ؟

إذا كان مخيراً فأين يجد ضالته هذه ؟

وإذا كان مسيرًا فأين يجد مصيره هذا ؟

وصعب عليه الإجابة لذا قد تركها للقارئ لكى يجيب عليها بنفسه ....

مايكل يوسف سلوانس

" الفصل الأول "

(فاتن)

صحيح إننا لا نعلم مكانتنا بقلوب بعض الناس ، لكن نستطيع أن نشعر بها من تصرفاتهم معنا .....

فالصداقة والحب مدينة مغلقة ، لا يدخلها إلا من يحمل جواز الوفاء .....

كان جالساً بلا هدف واضح ، فقرر أن يشغل جهاز الكمبيوتر ويفتح موقع التواصل الاجتماعي ، حيث قام بإرسال طلب صداقة على (الفيس بوك) لإحدى الفتيات ، وبعد عدة أيام تم تفعيل الطلب من قبلها ، وبدأ فى محادثتها كتابة ، حيث تعرف عليها وأكتشف عن طريق المصادفة أنها تقيم في مدينته ، بل هى من نفس منطقته .

كانا يتبادلان الحوار على فترات متباعدة ، وبعد مرور عدة أسابيع قليلة ، سرعان ما بدأ الحكي بصورة شبه يومية ، بل كان يزداد يوما بعد آخر عبر موقع (الفيس بوك) .

تبادلا صورهما على الماسنجر ، اكتشف وائل أنه يعرفها ، لقد رأها اكثر من مرة صدفة في الشارع تركب الميكروباص فى الصباح الباكر ، حيث إنها تقيم بالقرب من مسكنه ...

كانت الفتاة متوسطة القامة والجمال أيضاً ، شعرها مصبوغ باللون البنى الداكن ، قوامها نحيف بعض الشيء .....

كانت أنيقة جداً فى نفسها تهتم بمظهرها ، تميل دائماً للملابس الكلاسيك ... وبعد مرور حوالى ثلاثة أشهر حدث عطل فنى عند وائل ، مما نتج عنه انقطاع شبكة الإنترنت لفترة ما ، الأمر الذى جعله يذهب لإحدى مقاهي الإنترنت ويترك لها رقم تليفونه عبر الماسنجر ، وأبلغها بأنه لا يستطيع محادثتها ، لأن الإنترنت منقطع عنه ، كما أن الظروف قد تغيرت الآن ، فهو ألتحق بعمل جديد ، مما جعله يكون خارج المنزل طيلة اليوم .....

إن وقتها لم يكن التقدم التكنولوجي قد تطور لهذه الدرجة الكبيرة مثل الآن ، لقد كانت الموبايلات موجودة نعم ، ولكنها لم تكن تتيح نظام باقات الإنترنت الشهرية كما في هذا الزمان ، فلم يكن قد أنتشر بعد نظام الهواتف الذكية (الأندرويد) - فهذه الأحداث وقعت فى بدايات الألفية الثانية – وبعد حوالى عدة أيام ، رن تليفون وائل المحمول ، نظر وائل فوجد رقماً غريباً يتصل به ....

وائل : ألو

فاتن : ألو ، صباح الخير

وائل : صباح النور

فاتن : أنا فاتن

وائل : فاتن ...! كيف حالك يا فاتن ؟

فاتن : الحمد الله وأنت ؟

وائل : أنا سعيد جداً

فاتن : ولِمَ أنت سعيد ؟

وائل : لأني قد سمعت صوتك هذا

فاتن : شكراً لذوقك يا وائل ، فى الحقيقة إننى كنت أرغب فى الاطمئنان عليك ، لأنك مختفٍ منذ فترة كبيرة .

وائل : لقد كان لدى عطل فنى فى شبكة الإنترنت ، كما أننى استلمت عملاً جديداً وعدد ساعاته طويلة جداً ، كما أوضحت لك فى الرسالة ...

فاتن : ألف مبروك يا وائل ، أخبرني عن طبيعة عملك ؟

وائل : أننى أعمل كفرد أمن فى إحدى شركات القطاع الخاص ، وأنتِ هل تعملين أم لا ؟

فاتن : أنا أعمل فى المستشفى الأميري

وائل : هل أنتِ دكتورة ؟

فاتن : لا

وائل : لعلك ممرضة ؟

فاتن : بل مشرفة تمريض ، لقد تخرجت من كلية التمريض ، وتم تعييني بعدها مباشرة ...

وائل : حسناً ، يسمون الفتيات اللاتى يعملن فى هذا المجال بملائكة الرحمة ....

فاتن : أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة.

هنا سمع وائل صوتاً ينادي عليه قائلا :

يا وائل يا وائل ....

وائل : نعم يا هيثم

هيثم : إن المشرف عزت يريدك أن تذهب له فوراً

وائل : حسناً أنا قادم يا هيثم . ثم يقول لفاتن : أعتذر جداً يا فاتن ، أنهم يريدونني حالاً مضطر أن أغلق الهاتف الآن معك .

فاتن : ولا يهمك يا وائل ، مع السلامة .

وبعد مرور حوالى أسبوع آخر اتصلت به ، تحدثه عن ظروف شغلها الصعبة ، وأنها تتمنى أن تغير مجال عملها بأن تصبح مدرسة في إحدى مدارس التمريض ، إلا أن هذا الشرط يستلزم حصولها على درجة الماجستير ، وأنها بالفعل قد تسعى لذلك جاهدة ....

شجعها وائل ثم حكى هو أيضاً عن ظروف عمله الصعبة على طريق صحراء جرداء ليس فيها زرع أو حتى ماء ، ويتطلب عمله الوقوف على قدميه بالساعات الطويلة ، ولا يوجد أي راحة مطلقاً ، كما أن التعامل مع سائقيِ الشاحنات الثقيلة المحملة بالبضائع أمر متعب جداً ، لأن أسلوبهم فظ جداً . ذكر وائل لفاتن : أن في ذات يوم أحد السائقين تطاول على المشرف عزت ، وقام بضربه بساق معدني في جبهته ، الأمر الذى أفقده الوعى ، وتم نقله إلى المستشفى لعمل اللازم ولم يأخذ المشرف حقه منه ، بل تنازل عن البلاغ أيضاً ، وذلك لأسباب لا يعلمها هو شخصياً ، تتلخص في سمعة الشركة .....!

استغربت فاتن جداً من هذا الحادث ، فهذا يعنى أن أفراد الأمن في هذه الشركة ليست لهم آية حقوق ، وكيف يكون لهم ذلك وهم يعملون تبعاً لمقاول كبير ينتهك معظم حقوقهم .

تفاعل الاثنان معاً لأنهما جربا هذا الشعور السيء ، أن تعمل فى عمل لا تحبه أو بمعنى أدق لا تستريح له ، فهذا يعنى أكبر عناء في حياتك .

مرت الأيام وبدأ وائل بالتفكير الجاد في ترك العمل بهذه الشركة ، خصوصاً بعد تلك الواقعة ، حيث جاءه أحد السائقين وأسرع نحوه بالشاحنة ، وكاد أن يصدمه لولا مراحم الله ، ثم نظر له بحقد وابتسم ابتسامة خبيثة ومضي .....

سأل وائل نفسه قائلاً : ما الدافع الذي جعل السائق يفعل هذا التصرف المروع ؟

لكنه لم يجد إجابة على سؤاله هذا ...!

ربما أن السائقين يعاملون أفراد الأمن باحتقار خصوصاً بعد حادث المشرف ، أظن أن الأمر كذلك .....

لقد ذكر لنا يوسف زميل وائل : أن أحد السائقين هدده قائلا : " إذا لم تبتعد عن طريقي سأحطمك بشاحنتي ، مثلما فعل أدهم صديقي بمشرفك عزت ، هكذا أنا أيضاً سأفعل بك ".

عندما تحدث وائل وزملاؤه مع (السوبر فيزر) المدير المسئول للشركة عن أفراد الأمن قال لهم : أنه لا يمتلك صلاحيات لمثل هذه الأمور ، نظراً لأنهم يعملون تحت راية مقاول (لواء متقاعد) وليسوا معينين في هذه الشركة .

بحث وائل كثيراً عن عمل مناسب له فلم يجد ، الأمر الذي جعله يظل بهذه الشركة . مرت الأسابيع والشهور ، وازدادت العلاقة جداً بين فاتن ووائل ، بل وأصبحت المكالمات يومياً في الهاتف بشكل منتظم ، وكانت الفتاة تكبره في العمر بعدة سنوات ، إلا أنه كان يرى فيها كل المعاني التي يبحث عنها من جمال وأناقة ودلال وتعليم وثقافة .

تردد وائل في بداية الأمر أن يفاتحها في موضوع الارتباط به ، ولكن عندما شعر بأنها تبادله نفس الشعور تشجع في محادثتها ، حيث أفصح عما بداخله .....

رحبت الفتاة بالموضوع جداً ، إلا إنها قالت : أن أهلها لا يقتنعون بالارتباط عن طريق موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) . وإنها من أسرة محافظة ، وإذا قالت لهم هذا فقد يعنى إنها خارجة عن أصول الأدب والأعراف والتقاليد . فكيف تحدث شخصاً غريباً لا تعرفه ؟

اقترح عليها وائل أن يأخذ رقم أخيها الأكبر ويكلمه ، لأن أباها قد توفى منذ حين ، إلا إنها خافت أن يسأله عن مصدر الرقم .

فقال لها وائل : إنه على معرفة طيبة بزوج أختها ويمكنه أن يحدثه في موضوع الإرتباط بها ، ولكنها قالت أيضاً : وما دخله بنا ؟

سألها وائل عما يجب فعله في هذه الظروف ؟

فقالت له : دع لي هذا الأمر ، فأننى على معرفة بظروف أسرتي .. وبعد التفكير لعدة أسابيع ، أستقر الأمر على أن تعطيه رقم والدتها ، وأن يتم تحديد موعد للمقابلة ، وبالفعل تقابل وائل مع أمها ، وكانت الأمور تسير على ما يرام

حيث اتفقا على موعد الزيارة فى المنزل ، للتقدم بشكل رسمي . وكانت أمها سعيدة جداً بوائل ومرحبة بزواج ابنتها منه .

لم يتم عمل فترة تعارف ، وإنما قررا الاتفاق المباشر على الخطوبة ، نظراً لأنهما كانا يعرفان بعضهما منذ حوالى عامين تقريباً ...

وفي اليوم الموعود جاءه اتصال منها ، وكان ذلك بعد الظهر تقريبا ، فتحدثت معه قائلة له دون أي مقدمات ...

فاتن : ألو يا وائل

وائل : ألو يا فاتن

فاتن : قل لي يا وائل بكم من المال ستشتري ذهباً لي ؟

وائل متعجباً : لماذا تسأليني هكذا ؟

هل يوجد بينا مثل هذه الأمور ؟

هل الذهب يفرق معك يا فاتن ؟!

فاتن : لا ، وإنما أردت أن أعرف كل شيء فحسب ، لأن عمى صعب جداً ، وأنا أخشى أن يسألني مثل هذا السؤال الذى لا يوجد له إجابة عندي ...

وائل : فى الحقيقة إننى لا أعرف يا فاتن

فاتن : وكيف لا تعرف وأنت ستتقدم اليوم لخطبتي ؟

إذا كنت لا تعرف فمن سيعرف إذن ؟!

وائل : سأسأل أهلي اليوم وأبلغك يا فاتن

فاتن : اليوم متى وأنت ستأتي اليوم ...!

وائل : مهلاً يا فاتن فأننا مازلنا فى الصباح ، عندما أنتهى من عملى وأعود للمنزل حتماً سأسألهم .

فاتن : وكيف تسأل أهلك ، ألا يوجد عندك شخصية ؟

استغرب وائل جداً من هذه اللهجة الغريبة والحادة ، وقال : بالطبع يوجد عندي شخصية ، ولكن يقول المثل : إن الذي لا يوجد له كبير ، فعليه بشراء كبير . فما بالك بأبي وأمي ، إن الذي لا يوجد له خير في أهله ، فلا يوجد له خير في أحد .....

فاتن : ولكني لا أقبل بهذا الوضع

وائل : وما هو الوضع أصلاً ؟

فاتن : أنت شورة أمك ، فأمك من تحركك ، أين شخصيتك أنت ؟ ، لعلى سأتزوج بأمك ؟

وائل : أمى هي من ولدتني وعلمتني وربتني ، كيف لا آخذ مشورتها إذن ؟

فاتن : إذا كان الأمر هكذا ، فسأتركك لأمك ، لعلها قد تنفعك .

أنهت فاتن المكالمة وأغلقت الهاتف من دون أي سبب واضح . تضايق وائل جداً من هذا الحوار المفتعل ، وأخذت الأسئلة تدور في عقله واحدة تلو الأخرى ....

لماذا تتكلم معي بهذه اللهجة المستفزة والغير لائقة بالمرة ؟

هل تفتعل هذا الحوار حتى لا أتقدم لها وأكون أمام أهلها إنساناً غير ملتزم بكلمتي ؟

أم أن هناك أشياء وأموراً أخري فى الموضوع ظهرت ولم تصارحني بها ؟

بعد انتهاء العمل عاد لمنزله ، وحكى لأمه ما حدث له . وعندما بلغت الساعة الخامسة مساء ، أخذت الفتاة ترن على هاتفه ، ولكنه لم يجبها ، لأنه تضايق جداً من كلامها .....

قالت له أمه : لا تحزن يا ابنى ، سأقوم بإحضار وجبة الغذاء لك .

وائل : لا يوجد لي آية شهية للطعام ، فقط أريد أن أنام لأنى مجهد جداً . ولما دخل لغرفته أغلق هاتفه . وبعد قليل رن جرس التليفون الأرضي ، فردت والدته ...

حدثتها الفتاة قائلة لها : لماذا لا يرد أبنك على مكالماتي ؟ لماذا يتجاهلني هكذا ؟ إذا لم يرد أن يتقدم لي فلا داعي للهروب منى هكذا ؟

ردت الأم الحكيمة قائلة لها : إذا كان لا يريد ذلك يا ابنتي ، فلماذا تحدث معك في هذا الموضوع ؟ أنت تعلمين جيداً طبيعة عمله المرهق ، أنه جاء ودخل غرفة النوم بدون أن يتناول الغذاء . وعندما يستيقظ سوف يكلمك بالطبع ، ثم سألتها عما إذا كانت تريد شيئاً لتبلغه فقالت : لا . ثم أغلقت التليفون .

ولما استيقظ وائل أبلغته أمه باتصال فاتن . قال وائل وهو مشمئز من الفتاة : إنني لا أريد الذهاب إليها يا أمى .

الأم : إنه دلال بنات ليس أكثر ، وربما يكون قلق أكثر من اللازم ، إنها مخاوف جميع الفتيات من هذه الخطوة ليس أكثر من ذلك يا بني ....

ابتدأ وائل يقنع نفسه بكلام والدته ، حيث ذهب مع أسرته وتوجهوا نحو منزل الفتاة. وفي الطريق عندما نزل والده من السيارة ، وأثناء مرور الشارع ، انقطع حذاؤه وانفصل عن بعضه ...

فقال الأب له : أنا غير متفائل يا ابنى بسبب ما حدث لي ....

قالت الأم : لا تبالِ يا أبو هاني ربما يكون عمره الافتراضي قد انتهي

الأب : كيف هذا ؟

إنه حذاء جديد ، لقد قمت بشرائه الأسبوع الماضي ...

ما العمل كيف أصعد الدرج ؟

اقترح هاني الأخ الأكبر على الأب أن يعود للمنزل ليحضر له حذاء آخر غير ذاك ، إلا أن الأب قال : لا يوجد هناك داعٍ لهذا ، فإننا سنتأخر أكثر من اللازم . ثم اتفقوا على أن يصعدوا إليهم ...

ولما فتح الباب قابلتهم أختها ، ثم جلسوا في صالة كبيرة ، وبعد قليل تقدم رجل تبدو عليه علامات الشيب والوقار والاحترام ، ابتسم لهم جميعاً ورحب بهم واستقبلهم استقبالاً حاراً ، وهنا عرف وائل بفراسة العرب أن هذا هو العم الصعب ....!

جلس وائل قلقاً بعض الشيء ، فطمأنه ذلك العم وقال له : موفق إن شاء الله . استغرب وائل جداً من كلام فاتن التي كان يثق بها ، والتي صورت له عمها بأنه فظ ومتهكم وعنيد وصعب فى التعامل مع الناس ، وبين شخصية هذا العم المتساهل جدا معهم ...!

وبعد فترة ظهرت أم الفتاة ترحب بهم ، ثم أخوها وأخيراً جاءت هي . لم تكن مبتسمة وإنما كانت تتوعد له بالإشارة ...!

ظنها تمزح معه إلا إنها كانت جادة في ذلك ، حيث ابتدأت تلوح بيدها وتوحي له بإيماءات عدم الرضا . ثم قالت له : تلقى وعدك مني ، سأفعل بك ما يحلو بعيني ، فقط انتظرني ....

ابتسم وائل لأنه لم يجد سبباً لقولها هذا ، أو حتى دافعاً يجعلها تقول ذلك الكلام . تحدثت الأم مع والدتها وابتدأا في الاتفاق على كل شيء تقريباً ....

تم تحديد موعد شراء الشبكة ، ثم تبادلا السلامات والقبلات وانصرفنا . دون أن تتفوه فاتن بعبارة واحدة .....

وفي اليوم التالي بعد العشاء ، جاء لوائل تليفون من هاني أخيه الأكبر حيث قال له : أن أحد أقرباء الفتاة حدثه فى الهاتف وأخبره بأنها " لا تريد أن تستمر في هذا الموضوع ، وعليه فإن الاتفاق يعتبر مُنتهياً الآن ، لأنها قررت هذا " .

أستقبل وائل الخبر كمن يستقبل النار في جسده ، ابتدأ الدم يتدفق فى عروقه كتدفق الحمم داخل البركان ، وانفعل جداً ولم يصدق ما قد سمعه ، لكنه يثق فى أخيه أيضاً. فما مصلحته فى الكذب ، وسأله قائلاً : لماذا فعلت الفتاة هكذا ؟ ! فأجابه هاني : لست أدري يا وائل ، ولكن على آية حال لا تحزن عليها ، لأن من تركك لا يستحق اهتمامك ، فهو لا يشعر بقيمتك .

حاول وائل الاتصال بعدها بفاتن . فقط أراد أن يعرف السبب ولكن دون جدوى ، فقد تم إغلاق تليفونها ، إنها لا تريد أن تواجهه إذن ....

دخل على موقع التواصل الإجتماعي (الفيس بوك) وبعث لها رسالة ، فقط مجرد رسالة استعلام . هل حدث شيء بيننا ؟ لماذا رفضتني بهذه الطريقة ؟ ولكنها لم تجبه . وبعد عدة أيام تم حظره أيضاً من قائمة الأصدقاء . ثم اتصلت به أمها تقول له : إن موضوع الارتباط قد انتهي ، ولا يجوز أن تتعرض بالمضايقات لابنتي مرة أخري ، حتى لا يتطور الموضوع مع العائلة .

فقال لها وائل : لا أريد أن أضايقها ، ولكنى أعتقد أن من حقي معرفة السبب الحقيقي وراء رفضها المفاجئ هذا ؟

الأم : هي تفضل أن تحتفظ بالسبب لنفسها يا ابني ، وعليك الآن محاولة نسيانها ، والتقدم لأي فتاة أخري غير ابنتي .

وائل : حسناً سوف أفعل ذلك ، إلى اللقاء يا أم فاتن ...

كان من المفترض أن يعرف وائل أن العتاب كالحب ، فلا يعطيه إلا لمن يستحقه ... تضايق كثيراً من هذا الحوار ، وفكر بأن يتصل بصديقه مراد ، لعله يستطيع أن يخفف عنه آلامه . لقد كان مراد يعرفه منذ أكثر من عشر سنوات ، كان بينهم كل شيء جميل من مودة ورحمة ، وكانوا أصدقاء جداً ، بل وأكثر من ذلك ، فكانا

يتبادلان الزيارات والخروج معاً ، كثيرا ما أكلوا وشربوا معاً ، كان وائل يثق في مراد أكثر من أي شخص آخر على وجه الأرض كلها ....!

حكى وائل لمراد صديقه ما حدث معه ، وهنا انفعل مراد جداً ثم قال له : لماذا لم تصارحني أن بينكما شيئاً ؟ ، لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟

استغرب وائل جداً من رد مراد وتعليقه على الموضوع بهذه الصورة ، ثم قال له : في الحقيقة لم أفكر في هذا مطلقاً يا مراد ....

مراد : كيف لا تفكر في هذا ؟ ، لماذا لم تخبرني بما أنت عازم بفعله ؟ أنت تخبرني بكل شيء تافه . لماذا لم تخبرني بمثل هذا الموضوع ؟

وائل : في الحقيقة لست أدري ...

ولكن لماذا أنت منفعل على الآن ؟ إنها المرة الأولى التي أشاهدك منفعلاً هكذا ...!

هل كان أمر فاتن يهمك يا مراد ؟

مراد في تلعثم : لا لم يكن أمرها يهمني لهذه الدرجة .

وائل : إذن أخبرني عن سبب انفعالك هذا ....

مراد : هل توعدني أن مهما سمعت لا تغضب منى أبداً ؟

وائل : أعدك بهذا يا مراد ، قل لي ما الأمر بالضبط ؟

مراد : منذ زمن بعيد حوالي أكثر من خمسة أعوام ، كنت أعرف هذه الفتاة ، ومازلت أتحدث معها أيضا لتلك اللحظة ، انظر هذا هو رقمها ...

نظر وائل للهاتف فرأى رقمها بالفعل فتعجب من ذلك جداً ، لأنها لا تعطي رقمها لأي شخص غريب . استطرد قائلاً : لقد لمحت لي أكثر من مرة يا وائل بطريقة أو بأخري بموضوع الارتباط بها ، إلا إنني قلت لها : " إن إمكانياتي المادية لا تسمح فى وقت الحالي بالارتباط يا فاتن " . قلت هذا لمجرد أني لا أريد أن تتعلق بي ، فأنا لا أبادلها نفس الشعور .

مرت الأيام واتصلت بي مرة أخري تخبرني بأن هناك عريساً في انتظارها ، وأن أهلها موافقون عليه أيضاً ، وسألتني عن رأي في الموضوع ...

قلت لها : بالتوفيق يا فاتن ...

فاتن بغيظ شديد : هل هذا رأيك يا مراد في موضوعي ؟

أهذا آخر كلام يوجد عندك ؟

مراد : نعم يا فاتن ، هذا رأيى وآخر كلام عندي .....

هنا استوقف وائل مراد ليستعلم منه عن تلك الفترة الزمنية ، فقال له : في الحقيقة لا أتذكر ، ولكن على ما أظن إنها منذ حوالى شهر تقريباً ...

استنتج وائل أن هذه الفترة هي نفسها التي تحدث معها في حوار الارتباط ، حيث قالت له : إنها موافقة ولكنها تحتاج لوقت حتى تقنع أهلها بموضوع الارتباط من موقع (الفيس بوك) .

في حقيقة الأمر لم تكن فاتن تحاول إقناع أهلها ، وإنما كانت تتفاوض مع صديقه مراد على أن يتزوجها ، إذ كانت هي معجبة به ، لذا أخبرته بموضوع العريس الذي جاء لخطبتها ، وانتظرت رده الحاسم في هذه المسألة ، إنها عملية جس نبض.

وهنا قاطع مراد حبل أفكار وائل قائلاً : الحمد لله أن الموضوع قد انتهى على خير ، من دون آية خسائر مالية ، إن الفتاة كانت غير مناسبة لك بالمرة ، فهي تكبرك بخمسة أعوام ، وأن الفتاة تشيخ قبل الرجل ، بسبب ظروف الطبيعة من عمل وولادة وغير ذلك ، ولذا يختار الرجل فتاة أصغر منه ، حتى يستطيع التغلب على هذه المشكلة ....

سأل وائل مراد قائلاً : هل هذه الفتاة تلزمك يا صديقي ؟

مراد : بالطبع لا تلزمني في شيء

وائل : هل توعدني بأن لا تتقدم لخطبتها مهما حدث ؟

مراد : أعدك بهذا ، ولكن لماذا طلبت مني هذا الوعد الغريب ؟

وائل : حتى أعاقبها على فعلتها هذه ، فلا هى قد تزوجتني ، ولا أنت قد تزوجتها ، فيكون هذا أكبر عقاب بالنسبة لها . ورد اعتبار لشرفى المهان منها . أنا لا أريد أن أحداً ما يتلاعب بي أو بمشاعري . أتفهم هذا يا صاحبي .

مراد : بالطبع يا صديقي . انتهت المقابلة وانتهى أيضاً معها كل شيء ....

حاول وائل بعدها الاتصال بمراد ، إلا أنه لم يجبه ، وبعد عدة أيام قال له : إنه مشغول جداً في العمل ، ويعتذر عن الخروج في الفترة القادمة ، فدعا وائل له بالتوفيق .

وبعد مرور حوالي أسبوع وجد وائل صورة لمراد مرفوعة علي (الفيس بوك) مع أحد الأشخاص ، كانت الصورة توحي بنزهة في أحد شوارع المدينة ....!

تفاجأ وائل بهذا الأمر ، كيف يقول له : إنه مشغول في الفترة القادمة ، فلا يستطيع حتى الرد على التليفون ؟ ، وكيف يخرج يتنزه مع أحد المعارف ويجول أروقة الحي هكذا ؟

قام وائل بالإتصال به ، ولكنه أيضاً لم يرد عليه ....

لم يجد وائل تفسيراً لما حدث ، إلا أنه حزن جداً على مثل هذا النوع من الصداقة بين الناس ، والتي تستطيع مجرد فتاة أن تفرق بينهما . ابتدأ يتذكر ما قالت الفتاة عن صديقه عندما سألته قائلا : ألديك أصدقاء ؟

وائل : نعم لدي أخ أسمه مراد ، ولكنه أحياناً يكون عصبياً بعض الشيء ، بسبب ضغوطات الحياة والعمل .

فاتن بانفعال : لا تتحدث عنه بهذه الطريقة ، أنا لا أسمح لك بهذا مطلقاً .

وائل باندهاش : لم أقل شيئاً يستدعي كل هذا ، حتى يثار انفعالك هكذا يا فاتن ..!

فاتن : لن أدعك تغلط فيه واسكت ....

وائل : إن مراد صديق وأخ وأنا لم أخطئ فيه أبداً ، كل ما في الأمر إني قلت : إنه أحياناً يبدو عصبياً ، ولكن ما سبب انفعالك هكذا ؟

فاتن : لا أبداً كل ما في الموضوع أن مراد أخ عزيزي لدي ، وصديق دائم تعرفه العيلة جيداً .

وائل : هل يوجد صلة قرابة بينكما ؟

فاتن : لا ولكن والدته تعرف والدتي جيداً ، إنهما أصدقاء منذ زمن بعيد ، فلقد كنا جيران منذ عدة سنوات ....

وائل : ربنا يديم الود والمحبة الأخوية بينكما . أغلق وائل الهاتف ، ولم يفكر في الأمر كثيراً ، لم يخطر على باله أنه قد يوجد شيء بينهما . ربما لسذاجته أو لثقته الزائدة في صديقه ، فإذا كان هناك شيء فحتماً كان صديقه مراد سيخبره به ، هكذا كان يظن وائل ويفكر ....

تذكر أيضاً أنه حينما فاتحها في موضوع الارتباط قالت له : إن عمها صعب في التعامل وربما يرفضه ، لأنه يعمل في إحدى الشركات الخاصة كفرد أمن ، وأنه لا بد من أن يغير مجال عمله هذا ...

قال وائل : أنا بالفعل قدمت على رخصة مهنية في الإدارة العامة للمرور .

فاتن : لا أفضل أن يكون زوجي المستقبلي سائق سيارة

وائل : إن الشركات الكبيرة تطلب هؤلاء السائقين بمرتبات مجزية جداً ، بل وأن القطاع العام أحيانا يطلب بعضهم ويتم تثبيتهم أيضاً .

فاتن : قلت لك أنا لا أفضل هذا

وائل : إن صديقي مراد يعمل سائق على سيارة توزيع بضائع للمحلات الكبيرة

فاتن : مراد يمتهن مهنة شريفة ، والعمل الحلال ليس عيباً ، إن مراد ألف فتاة تتمناه ، لأنه إنسان خلوق ورجل بمعني الكلمة ، فهو يتحمل المسئولية ....

وائل : نعم هو كذلك أنا أعرفه فهو صاحبي .

لم يبال وائل بالموضوع وقتها ، ولكنه ابتدأ في تربيط هذه الدراما معاً بعد ذلك . أخذ وائل يحدث نفسه قائلاً : الآن فهمت ما الدافع وراء رفضها لي ؟ إنها كانت بلا شك معجبة بصديق عمري ، بل كانت تحبه أيضا ، فكثيراً ما دافعت عنه في أكثر من حوار سابق .....

أشكر الله الذي خلصني من هذه الفتاة اللعوب ، وعلى الآن أن أحسن الاختيار وأن أتأني في مشاعري ، فلا أعطيها إلا لمن يستحق ....

فليس هناك حب سيء ، ولكن هناك قلوب سيئة لا تستحق هذا الحب . ليس عيباً أن تقع فى حب إنسان لا يصلح للحب ، ولكن من الغباء أن تستمر في ذلك الحب ...

" الفصل الثاني "

(أمل)

لم يكن الحب كل شيء مثلما كنت أتوقع ، الحب ليس كافياً لكى تكتمل العلاقات ، فشعلته ضعيفة وسرعان ما تنطفئ وسط عالم الماديات ...

لم أكن أعلم أننى سأعيش فى زمن لا يحكم فيه على الرجل بشخصيته ، أو بقدرته على منح الحب والرعاية لزوجته ، بل إن الحكم يكون لما يحتويه جيبه من أموال.

بعد مرور عدة أشهر ليست بقليلة ، تصفح وائل موقع (الفيس بوك) ، ووجد أن أحداً ما قد أرسل له طلب صداقة ، ولكن وائل لم يبال بالأمر لأنه لا يعرف صاحب الطلب ، وبعد مرور عدة أيام وجد رسالة من صاحب ذلك الحساب يقول له : إنه يريد التواصل معه وأنه معجب بصفحته التي كانت تحتوي على خواطر وأقوال عظماء ، حيث كان وائل يهتم بالقصص والروايات الأدبية ، والأدباء العالميين أمثال الإنجليزي شكسبير والروسي أنطون تشيخوف ، وغيرهم من أعلام المشاهير في هذا المجال .

لم يتردد وائل هذه المرة فى تفعيل طلب الصداقة هذا ، خصوصاً أنه قد أصبح لديه أحد المعجبين به ...

بعد حوالى دقيقتين جاءه رسالة عبر الماسنجر كان محتواها : " مرحباً بك يا وائل ، إنني أشكرك استجابتك لتفعيل طلب الصداقة الخاص بي ، وأنا أحد متابعيك ، وأتمني أن نستفيد من صداقتنا هذه ، حيث نستطيع تبادل المعارف والخبرات فيما بيننا ، لكي نصقل مهاراتنا في الجانب الأدبي والمعرفي أيضاً " . هنا أدرك وائل سر إرسال طلب الصداقة له ، فهذا الشخص يريد أن يكتسب المعارف والخبرات منه .. سعد وائل بهذا حيث بعث رسالة كان مضمونها كالتالي : " لا شكر على واجب ، وكم إنني اشتاق لتبادل الخبرات معك ، ولو أمكن التحدث في الهاتف أفضل من هذه الكتابة ....

فجاءه الرد : حسناً ولكن ليس الآن ، لأن الظروف لا تسمح لي ، ولكن يمكننا التحدث هنا عبر الماسنجر بواسطة الكتابة ، وبعد ذلك سنتحدث إن شاء الله في وقت لاحق عبر الهاتف عندما تتاح الظروف .

وائل : لا يوجد لدي أي مشكلة في هذا ، ولكنني سأتركك الآن ، لأنني مرهق بعض الشيء من العمل .

بعد مرور عدة أشهر اكتشف أن الذى يحدثه كانت فتاة ....!

سألها وائل عن سبب تصرفها الغريب هذا .....!

قالت له أمل : إنها كانت تخشي أن أحداً ما يعاكسها أو يضايقها ، فلجأت لتلك الحيلة لكى تتمكن من الدخول (للفيس بوك) دون أي معاناة أو مشاكل تقابلها .

ابتدأت تتحدث إليه فى الهاتف وكان يستريح لها من مكالمتها ، فكانت دائما تطمئنه وكثيراً ما تتودد إليه ، وذات يوم فكر وائل أن يعرض عليها موضوع الارتباط ، وهذا لما قالت له : إنها فى آخر سنة في التعليم ، وأن العرسان يتقدمون لها ، ولكنها ترفضهم بحجة إنها مازالت طالبة ، وها هى الآن فى غضون أيام ستمتحن السنة النهائية وتحصل على ليسانس آداب فى اللغة الإنجليزية .

أخبرها وائل أنه معجباً بها ، ويريد أن يتزوجها .....

قالت أمل : إنها قد تفاجأت بطلبه هذا ، وإنها تعتبره أخاً وليس زوجاً ، إلا أن وائل سألها عن المانع ، فلم تجب بشيء ....

فقال لها وائل : ألست أنا أحق من الغريب ، على الأقل أن بيننا معرفة فنحن نعرف بعض منذ حوالى سنة .

أمل : ولكننا لم نر بعض حتى الآن ؟ ربما عندما تراني تغير رأيك في ، ربما لا أعجبك .

وائل : لماذا تقولي هذا ؟ ربما أنا الذى لا أعجبك ، على آية حال يمكننا أن نتقابل فى وقت ما .....

أمل : ولماذا تريد مقابلتي ؟

وائل : ما هذا السؤال السخيف ، أريد مقابلتك حتى أعرفك جيداً

أمل : أنا معك كل هذا الزمن ولا تعرفني ....!

وائل : أنا آسف لقد أخطأت التعبير ، أقصد نعرف حقيقة طبيعة شعورنا ، هل هو أخوى كما تقولين أم غير ذلك ؟

أمل : فكرة جيدة ولكن هل حقاً ستسافر وتأتى إلىَّ ؟

وائل : نعم بالطبع ولم لا

أمل : أنت من الإسماعلية وأنا من الإسكندرية هناك سفر ما يقرب من ساعتين أو أكثر ....!

وائل : وما المشكلة فى ذلك ؟

أمل : لا توجد مشكلة ، أقصد هل إننى مهمة عندك لهذه الدرجة حتى تتحمل كل مشقة الطريق وأعباء السفر ....؟!

وائل : نعم بالطبع ، ولكن أفضل أن أول مرة يكون لقاؤنا فيها خارج المنزل ، وذلك معناً للإحراج ولأجل أن نأخذ حريتنا .

أمل : ولكنى لم أفعلها فى حياتي قط ....

وائل : أنا أعلم هذا جيداً ، ولكن أنا أفضل مقابلتك خارج المنزل

أمل : ماذا أقول لأهلي إذن ؟

وائل : لا داعى لقول شيء الآن ، كل ما عليك فعله هو الذهاب للكلية وبعدها سنتقابل ، فقط مجرد ساعة زمن فى أي مكان عام تريدينه ، وإذا وجدنا قبولاً وارتياحاً وشعوراً حتماً سأجيء مرة أخرى وأتقابل مع والدك ، وبعدها سيأتون أهلي فى مرة أخرى لخطبتك . اتفقنا أم لا ؟

أمل : لم تجب بشيء

وائل بانفعال : لماذا لا تجيبيني ؟ أنا لا أريد أن أضيع وقتك ووقتي أكثر من هذا ، أريد أن أحسم الموضوع .

أمل : وما وجه الاستفادة من هذا ؟

وائل : وجه الاستفادة هو الضمير .

أمل : ماذا تقصد ؟

وائل : أقصد إننى سأفعل ما بوسعي أن أفعله ، حتى لا يلومني ضميري بعد هذا

أمل : ولماذا يلومك ضميرك ؟

وائل : ما هذه الأسئلة السخيفة ؟

أمل : لم أقصد ذلك وإنما أريد أن أفهم فقط ....

وائل : حينما أقابلك ستفهمين كل شيء ، أخبريني الآن متى يمكننا المقابلة ؟

أمل : يوم الأربعاء عندي محاضرة فى العاشرة صباحاً .

وائل : حسناً اتفقنا سأتى فى ذلك اليوم

أمل : قصدك بعد الغد .... !

أمل : نعم قصدي ذلك ، غداً سأبلغ فى العمل عن إجازة بعد الغد

أمل : ولم أنت تتعجل الأمور ؟

وائل : ماذا تقولين أنا لا أتعجل الأمور مطلقاً ، ولكن إذا عزمت فتوكل ، أنا شخص جاد لا أحب المماطلة فى مثل هذه الأمور . أتردين شيئاً منى ؟

امل : لا أشكرك

وائل : مع السلامة

أمل : إلى اللقاء .

ثم غلق الهاتف ، وأبلغ وائل أهله بموضوع أمل ، وأنه يريد الذهاب إليها ، ولكن الأب لم ترق له الفكرة ، بينما الأم رحبت بسعة صدر بل وشجعته أيضاً ، مر اليومان سريعاً وأتى بعد الغد ، إنه اليوم الموعود ربما للقاء الأول ربما للفضول ربما لحسم تلك العلاقة ، ربما كل هذه المسائل معاً ....

ركب وائل السيارة وجاء إلى الإسكندرية إلى حديقة ما ، وجاءت الفتاة إليه لم يكن يستغربها لأنهما بالطبع تبادلا الصور فيما بينهما عبر (الماسنجر) ، لم تكن جميلة لكنها كانت بشوشة كانت سمينة إلى حد ما ، ولكنها كانت رشيقة لدرجة كبيرة ، كانت متوسطة القامة ، شعرها لم يكن طويلاً بالكاد يصل للكتفين . ابتسمت له فابتسم لها وتبادلا الحوار التالي :

وائل : أنتِ تبدين مألوفة بالنسبة لي

أمل : وأنت كذلك لم استغربك قط

وائل فى الحقيقة إني اعتذر عن سبب الضغط عليك بشأن مقابلتنا هذه ، ولكن المقابلة ستعطى لنا نوعاً ما من الجدية بيننا . ثم أخرج بطاقته الشخصية وقال لها : انظرى .

استغربت الفتاة من هذا ثم قالت : لا يصح لى أن أفعل ذلك

وائل : لا بل يصح ربما أكون شخصاً كاذباً

أمل : ولماذا تكذب على ؟

وائل : من يعلم ؟ !

أمل : لا أظن أنك شخص كاذب

وائل : وما سبب ثقتك هكذا بى وأنت لا تعرفيني جيداً ؟

أمل : بل أعرفك وإحساسي لا يخيبني أبداً

وائل : أشكرك لحسن ثقتك العظيمة هذه ، ولكن أسألك أن لا ترفضى طلبي . نظرت الفتاة نظرة عابرة . وقالت : جيد والآن ماذا نفعل ؟

وائل : سنشرب شيئاً ثم نتحدث قليلاً ثم أمضي

أمل بتأثر : وبعدها لا آراك ثانية ....

وائل : ومن قال لك هكذا ؟

أمل : أنت الذى قلت ...

ضحك وائل ثم قال : دعك من هذا الآن وعيشي لحظتك هذه . جيد أننى رأيتك اليوم ، وها أنت حقاً تعجبيني ،أستريح لك كثيراً ، أما أنت فما هو شعورك بالنسبة لي ؟

أمل : بلعثمة : فى الحقيقة أنا أنا ...

وائل : لا يهم طالما أنك خجولة هكذا ، لا يهم الآن ....

تبادل كل منهما الحوار فى موضوعات مختلفة كالكلية والعمل والاستقرار فى الحياة بشكل عام . مضى الوقت سريعاً كالبرق ونظرت الفتاة لساعة يدها وبدأ عليها التوتر .

وائل : ولماذا كل هذا التوتر يمكننا الانصراف الآن .

أمل : ولكنى أريد الجلوس معك ، إن جلسة واحدة لا تكفى .

وائل : ربما تكفى على الأقل لمعرفة إذا كان يمكننا الارتباط أم لا . ثم وصلها حيث طريقها ، وذهب هو لطريقه وعاد للمنزل .

فى المساء كلمته أمل تطمئن على عودته ، وأخبرته إنها كانت سعيدة جداً لرؤيته وإنها كانت مسرورة جداً ، ولكنها كانت خجولة . فتلك هى أول مرة فى حياتها تقابل شاباً .

فقال لها : أعلم هذا جيداً ، وأنا اثق بك كما تثقين بي ، وسألها عن متى يجيء لمقابلة أبيها .

فقالت له : بعد الامتحانات لأنني مشغولة الآن .

مرت الامتحانات على خير ما يرام ، وكلمته أمل تريد مقابلته .

وائل : قصدك مقابلة والدك ؟

أمل : بل مقابلتك أنت ....

وائل : تعجب جداً من كلامها ، ثم سأل عن سبب ذلك ...!

أمل : لا يصح أن أقول لك تقدم لي ، وبعد المقابلة أرفضك ، فأنا لا أستطيع فعل هذا ، خصوصاً أن والدتك تمر بظروف صحية سيئة ، وأنا لا يخلصني أن تأتى كل هذا المشوار دون جدوى .

حاول وائل أن يقنع نفسه بهذا ، ثم حدد لها ميعاداً للمقابلة ، ولكنه قال لها : ما دمت تصرين على هذا فليكن ذلك لك ، على أن تكون مقابلتنا طويلة هذه المرة ، حتى يتبين لك إذا كنت توافقين على أم لا .

أمل : أنا موافقة على كلامك هذا .

مرت الأيام وتقابل وائل وأمل ، ثم تبادلا الحديث طويلاً استمر أكثر من ثلاث ساعات ، لم يشعرا بالوقت تحدثا عن مواضيع عامة ، ثم مواضيع خاصة مثل الأحلام والطموحات ومواجهة تحديات وظروف الحياة ، ثم عن موضوع الارتباط ومواصفات كل منهما فى شريك الحياة ، ومعايير الزواج الناجح وغير ذلك من أمور لا يسعها الوقت جميعاً .

ابتسم وائل وقال لها : لقد صدعت رأسك بثرثرتي هذه أليس كذلك ؟

أمل : لا بالطبع لم تكن ثرثاراً مطلقاً ، فأنا أهوى الحديث معك .

ضحك وائل ضحكة هادئة ثم قال : لنغادر إذن

أمل : لماذا ؟

وائل : لأن الوقت قد تأخر ، وأنا ما زال أمامي عدة ساعات أيضاً حتى أصل لمنزلي .

قالت أمل فى ضيق ظهر على وجهها : وليكن هذا .

وائل : لا تحزني فإنها ليست آخر مرة نلتقى يا أمل ، وأن الأيام القادمة سنلتقى كثيراً إذا أردتِ هذا ، ولكن بعد مقابلة والدك حتى يأخذ الموضوع شكلاً رسمياً .

أمل : وهل حقاً ستأتي لمقابلة والدى ؟

وائل : نعم بالطبع سأقابله عندما تقولين له ؟

أمل : ولكن ماذا أقول له ؟

وائل : قولي ما حدث بمنتهى الوضوح

أمل : ربما يتضايق لأنك لم تأتِ منذ زمان

وائل : ربما لأنى لم أفكر فى الارتباط بك ، لقد كنت أحدثك كصديقتي .....

أمل : ظهر على ملامحها القلق والحيرة ....

وائل يبتسم : لا تضطربى هكذا ، فقط حدثي أمك أولا وهى سوف تمهد الطريق أمامك .

أمل : هل ترى ذلك ؟

وائل : نعم بالطبع .

ثم تم تحديد الميعاد له بعد حوالى أسبوع . طلب وائل رقم والدها لكى يتحدث إليه بشكل رسمي ، إلا أن الفتاة لم تعطه الرقم قائلة له : ولماذا تحتاجه ؟ فهو حدد لك الميعاد وقد تم كل شيء .

وائل : من الأدب أن أتحدث إليه ، ولو مكالمة واحدة بصيغة جادةً .

أمل : لا يهم ذلك فأنت ستأتي وتراه بوضوح أفضل

وائل : ليكن هذا

وجاء اليوم الموعود وحصل شيء غريب لم يحدث من قبل ، وهو أن الفتاة كانت تتصل به تقريبا بمعدل كل نصف ساعة ....!

تسأله قائلة له : أين أنت يا وائل ؟

وائل : إننى مازلت فى الطريق يا أمل . فقط اهدئي فأنا قادم ، عندما أصل للإسكندرية سأكلمك حتى تصفيِ لي مكان منزلكم بالضبط .

وصل وائل الإسكندرية لمنطقة العجمي ، وصفت له أمل الطريق ، وعندما وصل للمكان المعلوم رأى فتى يركض ناحية بناية ما ، ابتسم له وسأله : هل أنت وائل ؟

فأجاب وائل بابتسامة : نعم إني أنا هو ، هل أنت شقيق أمل

الفتى : نعم أنا كذلك .

فمد وائل يده لكى يصافحه ، وتبادلا النظرات ، وكان الفتى مسروراً ومرحباً به ، إن كل شيء كان على ما يرام ...

تناول الفتى المفتاح من جيبه ، وبدأ يفتح باب البناية كانت مكونة من عدة طوابق حوالى ثلاثة ، كانت مازالت تحتاج إلى تشطيب ، لأن شكلها كان يوحى بأنها مازالت تحت الإنشاء ، بينما من الداخل قد تم تشطيب المداخل والطابق الأول منها ، كانت فخمة إلى حد ما ، يوجد سقف معلق وحوائط أشبه ما تكون بلوحات فنية ، وأبواب مذهبة تشعرك بأنك تجلس فى قصر من قصور المماليك ...

لم يهتم وائل بالمنظر كثيراً فلم يبهره ، ولكنه اكتفى بالنظرة العابرة فقط . بعد قليل جاء الأب ويبدو عليه علامات الغضب .....

الأب : دون أي مقدمات أو حتى واجب ضيافة أو ترحيب قال : أنت مخطئ يا وائل

وائل : لماذا ؟

الأب : لأنك لم تأتني منذ زمان ، إننى لم أتوقع أن ابنتى تفعل مثلما فعلت هكذا ...!

وائل : وماذا فعلت ؟

الأب : ألا تعلم ماذا فعلت ؟

وائل : ربما أردت أن أسمع منك .

الأب : كيف تجرأ على أن تكلم شاباً غريباً من خلف ظهرى ، كيف لم تخبرنى بهذا؟

وائل : ولماذا تخبرك ولم يحدث شيء ؟

الأب : ما هذا الكلام ؟ هل أنتظر حتى يحدث شيء بينكما ، حتى تجيء هى وتصارحني ؟ !

وائل : لماذا تضخم الأمور هكذا ؟ ، كل ما فى الأمر أنها تحدثت لشخص عبر (الفيس بوك) ، وأن هذا الشخص قد أعجب بها ، وجاء اليوم لخطبتها ، فما بالك تنزعج هكذا ، لم يحدث بيننا شيء أكثر مما قلته لك ...

الأب : وماذا عن مقابلتكما من ورائي ؟

وائل : لا شيء سوى أننا أردنا ان نعرف حقيقة شعورنا ، هل يصلح كل منا للآخر أم لا ؟

الأب : ولكن كان من الواجب بل من اللائق أن تخبرني بهذا .

وائل : ولماذا نخبرك بهذا ، ونحن أصلا لم نكن نعرف هل سنرتبط ببعض أم لا ؟ !

الأب : أنا متعجب من ردودك هذه ، وكأن عندك لا مبالاة . دعني أسألك سؤالاً ...

وائل : تفضل

الأب : إذا كانت أمل أختك هل كنت توافق على هذا الوضع ؟

وائل : نعم بالطبع طالما لم يحدث شيء خطأ .

الأب : وماذا عن كلامكما طيلة الفترة السابقة ربما سنة أو أكثر ؟

وائل : لقد أجبت بنفسك مجرد كلام لا شيء أكثر من ذلك ، قل لى هل يوجد ما يمنع من الكلام ؟

الأب : ولكن ....

هنا قاطعه وائل : ولكن دعك من هذا الآن ، أنا فى منزلك وسعيد إنى آراك ، وجئت اليوم أتقدم بخطبة ابنتك بعد موافقتك بالطبع وسعيد بمقابلتك هذه .

ابتسم الرجل في تصنع وقال له : سنتحدث بعد الغذاء إن شاء الله .

جلس وائل على مأدبة الطعام ، وأكل اليسير من الطعام ، فلم يكن له آية شهية بسبب ما قاله والد هذه الفتاة .

وبعد الغذاء جلس الاثنان فى ركن من الصالة ، نظر الأب لوائل وسأله قائلاً : ما هو عملك ؟

وائل : فى إحدى الشركات الخاصة .

الأب : وماذا عن تعليمك ؟

وائل : أنا بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة خريج عام ٢٠٠٥م .

الأب : ولماذا لا تعمل محاسباً ؟

وائل : لم أجد عملاً للمحاسبة حتى الآن لكى ألتحق به ، ولكنى مازلت أبحث عن ذلك أيضاً .

الأب : هل تمتلك شقة ؟ أم سوف أغرب ابنتى على شيء لا يستحق ؟

وائل : وهل الارتباط بشخص يصون ابنتك ويحبها ويحترمها شيء لا يستحق ....؟

الأب : يعنى لا تمتلك شقة ...

وائل : بل توجد عندي شقة .

الأب : وأين مكانها إذن ؟

وائل : فى إحدى المناطق الشعبية ....

الأب بصوت عال : ماذا ؟

وهنا تبدو علامات الاستياء على وجه الرجل . ثم يقول له : لماذا لا تبنى بيتاً مثل هذا ؟

وائل : لأننا لا يوجد عندنا أراضي ...

الأب : ولماذا اشتريت فى منطقة شعبية ؟

وائل : لإنها مشروع قومي من المحافظة .

الأب : آه مشروع من المحافظة ، وهل شقتك هذه تم تشطيبها أم لا ؟

وائل : فى الحقيقة أنا اشتريتها ، وسوف أشطبها وقت ما أسكن بها .

الأب : وهل معك نقود للتشطيب وللجواز معاً ؟

وائل : نعم معي

الأب : هل تقدر أن تعيش أبنتي فى مثل هذا المستوى ؟

وائل : أنا شاب يا عمى ، وفى بداية حياتي . سأحاول أن أجتهد على فعل هذا .

الأب بتهكم : معنى كلامك أنك عاجز لا تستطيع أن تفعل هذا .

وائل بانفعال : إن العاجز هو الإنسان الذى يقف مكانه ، أما أنا فأسعى دائماً نحو الأفضل . العاجز هو الإنسان الذى قرر أن يعجز نفسه بنفسه ، أما أنا فإنسان طموح لأبعد الحدود .....

لقد حصلت على العديد من الكورسات فى اللغة الإنجليزية والكمبيوتر والتنمية الذاتية ، ولو أتاحت الظروف لكنت قد استكملت دراساتي العليا فى الجامعة ، إلا إنها تحتاج لنفقات مالية كثيرة .

نظر الأب إليه فى اشمئزاز وسأله قائلاً : كم يبلغ راتبك الآن ؟

وائل : حوالى ألف جنيهاً ...

الأب : هل تعرف أن ابنتى تأخذ منى هذا المبلغ مصروفاً ليديها .

وائل : فى الحقيقة لا أعلم ، ولكن ما الذى يجب علىَّ فعله ؟

الأب : لماذا لا تعمل بعد الظهر أيضاً ؟

وائل : متى ؟ والعمل يبدأ من السابعة صباحاً وينتهى بالسابعة مساء .

الأب : هل تظن أن راتبك هذا قد يكفيكما معاً ؟

وائل : إذا كان الله يرزق طير السماء وكل دابة وحيوان على الأرض ، فهل يصعب عليه أن يرزق الإنسان الذى هو أعظم مخلوقاته ؟

نظر الأب لوائل ، ثم ابتدأ يدب بقدميه على الأرض ، وكأنه يحتج على كلامه هذا ، بينما وائل تساءل فى نفسه : ترى بماذا يفكر الرجل ؟

لما يفعل هذا التصرف الغريب ؟

بعد حوالى دقيقتين ، نظر الأب أسفل الأرض ، وقال لوائل بغطرسة متعمدة : هل تعرف ما هذا ؟

وائل : بالطبع أعرف أنه بلاط .

الأب : لا بل بورسلين .

وائل : ماذا تقصد ؟

الأب : أقصد أنه أغلى أنواع البلاط ، لقد زينت به أرضية المنزل كلها ، إن أغلى أنواع البلاط أدوس عليه بقدمي كما ترى الآن ...

هل ستقدر أن توضب مثل هذا التشطيب الفاخر ؟

هنا ضاقت نفس وائل جداً ، وابتدأ يفقد أعصابه . إن إحساس الدونية والقلة أنه مجرد حشرة أو أقل من ذلك ، جعله يثور ويقول للرجل بعنف : منذ أن أتيت إليك وأنت تسألني كثيراً ، فقط أعطنى فرصة حتى أسألك أنا سؤالاً واحداً . فنظر له الرجل باندهاش ، وأكمل وائل حديثه قائلاً : والآن أخبرني متى جئت إلى هنا لهذا المنزل ؟

الأب : فى الحقيقة السنة الماضية

وائل : وأين كنت تسكن قبلها ؟

الأب : بالطبع فى أحد المنازل .

وائل : ولماذا جئت إلى هنا ؟

الأب : لأن المنزل هنا أكبر وأوسع وأجمل ومجهز بكل الإمكانيات ...

وائل : أيعنى هذا أن منزلك القديم كان ضيقاً وغير مجهز ؟

الأب في خجل شديد : نعم يعنى كذلك

وائل : وكم يبلغ عمرك الآن ؟

الأب : اثنان وخمسون عاماً .

وائل : أما أنا فأبلغ الرابعة والعشرين يعنى حوالي نصف عمرك تقريباً ، إذا لم أصل إلى عمرك هذا ، ولم أعمل قدرما عملت ضعفين ، لأسكب بنزيناً على نفسي وأشعل النيران فى جسدي حتى أحترق تماماً .....

كيف تطالبني يا هذا ؟ أن أفعل كل ما فعلته فى سنوات حياتك وعمرك بأكمله ، وتجبرني أن أفعله وأنا مازلت فى مقتبل عمري .....

إنيِ أرى أن هذه المسئلة غير عادلة بالمرة ، تذكر هذا جيداً عندما كنت شاباً مثلى وتقدمت لزوجتك ، لم يكن معك ربع ما معك الآن ، ومع ذلك تمت الموافقة عليك لأن معايير الموافقة لا تتلخص فى المال فحسب وإنما يوجد معايير أخرى كثيرة كالأخلاق والرجولة وتحمل المسئولية وغير ذلك ....

هنا لم يجد الرجل كلاماً يقال لوائل بعد قوله ، إنما اكتفى بهذه العبارة : والآن دعنى أفكر وسوف أرد عليك .

وهنا هم وائل بالانصراف ، ولما عاد لم تتصل به الفتاة مثل السفريات السابقة ، كيف لم يجد مكالمة واحدة منها حتى تشكره فيها على حضوره ووفائه بوعده لها ..!

استغرب وائل جداً وقال : لعلها كانت مجهدة ونامت ، أو إنها لم تأت فرصة مناسبة حتى تتصل به .

وفى اليوم التالي أيضاً لم تتصل ، فبادر هو بالاتصال بها ، إلا إنها لم تجبه بشيئاً .

وبعد حوالى ثلاثة أيام خلالها كان وائل قلقاً عليها جداً ، حدثته أخيراً ولكنها كانت ليست كعادتها معه فى هذه المرة .

قالت أمل : من فضلك يا وائل لا تعاود الاتصال بي بعد اليوم ، وسوف أقوم أنا بتغيير رقم شريحتي الخاصة .

وائل : ما هذا الذى تقولينه ؟

أمل : مثلما سمعت كل شيء قسمة ونصيب .

وائل : لماذا ؟ وأين حبك لي ؟ وكيف طاوعك قلبك حتى تحدثيني بتلك اللهجة ؟

أمل : اعلم أني أعزك جداً ، واعلم أن أبى قد رفضك ، وأنا لا أستطيع أن أخالف أوامر أبى أو أرتبط بك من دون موافقته .

وائل : لماذا رفضني ؟

أمل : لأنك تطاولت عليه لفظياً .

وائل : أنا لا أتذكر في محادثتي إننى قد أسأت إليه مطلقاً ، أو صدر منى لفظ خارج عن حدود الأدب ...

أمل : إن طريقة أسلوبك كانت سمجة جداً وغير أخلاقية بالمرة .

وائل : تخرجونني عن شعوري وتجعلونني أشعر بإحساس الدونية وأننى مجرد حشرة ما . وعندما أثبت لكم إننى إنسان مثلكم تتهكمون على وتقولون إننى على غير خلق ، أهذا إذن هو عدلكم ؟

أمل : من فضلك لاحظ أن كلامك جارح ، وأن هذا الرجل الذى تتحدث عنه هو فى حقيقة الأمر أبى الذى أحبه وأمتن له بكل شيء .

وائل : كلامي ليس جارحاً يا أمل ، بل إن الحقيقة هى دائما التي تجرح ، لقد وعدت ووفيت بوعدي ، وأنتِ التي تخليتي عنى وليس أنا . لقد اشتريتك بالغالي وأنتِ قد

بعتينى بالرخيص . إننى حقاً أشكر الظروف والأيام والمواقف التي أظهرتكما على حقيقتكما أنتِ وأباك ....

أمل : كفاك من فضلك ، طلب واحد منك ، لا تعاود الاتصال بي بعد الآن .... وهنا أغلق الهاتف .

حزن وائل جداً على ما حدث له ، ولكنه شعر في الوقت نفسه بالنصر ، حس بالانتصار في ردوده على والدها ، ذلك الرجل المتغطرس المادي السيكوباتى .....

تساءل وائل فى نفسه قائلاً : هل ستعود إليه يوماً ما مجدداً ؟

سمع صوتاً خافتاً يهمس فى أذنيه قائلا : إن من يحب لا يرحل يا صديقي . لا تطلب من أحد أن يكون معك ، اترك هذا لحجم محبته لك ....

" الفصل الثالث "

(نسرين)

وبينما أنا أطلب مشيئتك ، قلبي يتمنى أن تتفق مشيئتك مع مشيئتي هذه المرة يا الله ....

بعد حوالى عام اتصلت خالة وائل بأمه تطمئن على صحتها وسألت عن أحوال وائل ، ولماذا لم يرتبط حتى الآن ؟

أبلغتها أمه : بأنه حاول عدة محاولات ولم يأت النصيب بعد ....

الخالة : إننى أعرف أسرة ذات سمعة طيبة ، أصلها من الأرياف ، وهى نزحت الآن إلى شرم الشيخ سعياً فى طلب الرزق ، لديهم فتاة جميلة ومحترمة جداً ، وإننى أرشحها لابنك وائل .

الأم : حسناً حدثيهم عن وائل ابنى ، وسأنتظر منك مكالمة حتى يطمئن قلبي .

الخالة : سأبذل ما بوسعي حتى تغمرنا الفرحة جميعاً ....

بدأت المكالمات من هنا ومن هناك ، وبعد عدة مفاوضات قررت الأم أن تخبر وائل بموضوع هذه الفتاة .

الأم : عندي لك أخبار سارة يا وائل

وائل : خير يا أمي ...!

الأم : كنت أتحدث إلى خالتك سعاد وتطرقنا لموضوع زواجك ، وهى تعرف فتاة من أسرة طيبة ، وأنا أريدك أن تسافر لها .

وائل : أسافر إلى أين ولمن يا أمي ؟

الأم : تسافر إلى مدينة شرم الشيخ لترى عروستك .

وائل : أنا غير مقتنع بالزواج من خارج المحافظة يا أمي ، هل فتيات مدينتي انقرضوا حتى أرتبط بفتاة من محافظة بعيدة كشرم الشيخ ...!

الأم : ربما يكون نصيبك هناك يا ابنى .

وائل : وربما لا يكون نصيبي هناك يا أمي ، وأتحمل أعباء ومشقة الطريق دون جدوى .

الأم : لكنى أشعر بالاطمئنان هذه المرة تجاه هذه الأسرة .

وائل : ولكنى لم أشعر بشيء ، ربما أراها ولا أرتاح لها ، صراحة أنا غير محبذ هذا السفر .

الأم : ولماذا تفرض دائما السيء يا ابنى ؟ اعمل ما عليك فقط أطع كلامي واذهب .

وائل : ولكن المشوار بعيد جداً ، ولن أتمكن من الذهاب والعودة في نفس اليوم ، أين سأقيم هناك في بلد لم أذهب إليها من قبل ؟

الأم : ستقيم عندهم يا ابنى بالطبع .

وائل باندهاش : كيف ذلك ؟ هل يوافقون بهذا الوضع ؟!

الأم : إنهم أهل كرم يا بنى ، وأنت غريب ليس من بلدهم ، فهذا هو الواجب ، لما تصعب الأمور هكذا ؟

وائل : حسناً يمكننا محادثتهم في الهاتف ، لنرى ماذا سيصنعون معي ؟

الأم : سيصنعون معك كل خير يا بنى ، فلا تقلق من شيء أبداً .

سافر وائل إلى شرم الشيخ عن طريق (السوبر جيت) ركب في الصباح ووصل بعد العصر تقريباً ، حيث كان في انتظاره سيارة متواضعة من ماركة (فيت) القديمة ، خرج منها رجل صافحه مبتسماً قائلا له : حمد الله على سلامتك ...

عرف وائل بالفراسة أنه أخوها الأكبر ، وهو في العقد الخامس من عمره ، بينما والدها متوفى منذ عدة أعوام ، ركب وائل السيارة معه ، وفى الطريق حك نادر ذقنه إشارة على أنه يفكر في شيء ما ، ولكنه لم يتفوه بكلمة واحدة .

تفهم وائل ذلك جيداً ، وقال في نفسه : ربما أنه خجول بعض الشيء ، فما أن بادر الحديث هو معه حيث قال لنادر : تعرف إني لأول مرة أجيء هنا في حياتي .

نادر : غريبة مع أن شرم الشيخ مدينة جميلة ....!

وائل : جميلة بأهلها وناسها الكرام .

نادر : شكراً لمجاملتك .

وائل : هل تسكنون هنا منذ زمان بعيد ؟

نادر: لقد استقرت أسرتي هنا منذ حوالى عشرين سنة ، بينما أنا هنا منذ خمسة وعشرين سنة ، جئت في أول الأمر بمفردي ، وعندما استقرت الأوضاع معي ، قمت بالإرسال إلى باقي أسرتي حتى جاءوا واستقروا معي ...

وائل : سمعت أنكم من الأرياف ، حتى أنك تتحدث باللهجة الفلاحي .

نادر : نعم إننا من محافظة كفر الشيخ .

وائل : أحسن ناس ، هل أنت من كفر الشيخ نفسها أم من قرية فيها ؟

نادر : إننا من قرية تابعة لمركز (الحامول) وأنت تعلم جيداً أن العمل يكون قليلاً جداً في القري ، لهذا السبب يترك أهل القري مكانهم ، ويرحلون للبلاد الأخرى ، بحثاً عن لقمة العيش .

وائل : هذا جيد

نادر : وأنت هل من الإسماعلية نفسها أم من ضواحيها ؟

وائل : من الإسماعلية نفسها .

نادر : هل لديك أخوة ؟

وائل : نعم لدى أخ أكبر منى وهو متزوج .

عندما وصلا صعدا إلى البناية ، حيث كانت في مكان خال تماماً وكانت جديدة مكونة من عدة طوابق حوالى ٧ طوابق . وكان في كل طابق شقتان .

كانوا يسكنون في الطابق الأخير ، وكان لديهم شقتان أمام بعضهما ، شقة كانت تسكن فيها الأم مع أبنتها نسرين ، والأخرى كان يسكن فيها أخوها مكرم مع زوجته ، بينما نادر الأخ الأكبر يسكن بعيداً عنهم في منطقة أخرى ....

وصل وائل ودخل البناية ، وهنا صعد معه نادر ثم قال له : اجلس فأنت في بيتك ، وأنا أستأذنك لأنى أترك العمل بمفرده ، وفى المساء سوف نتقابل إن شاء الله .

وائل : حسناً كما تشاء .

دخل وائل لينظر سيدة وقورة تغطى شعرها بإيشارب ، مرتدية في ذلك ملابس سوداء حداداً على المرحوم ، الذى قد توفى منذ عدة سنوات ، فلا يصح أيضاً أن ترتدى غير الأسود وزوجها قد رحمه الله ....!

ابتسمت السيدة إلى وائل ، حيث قالت له : نورت يا أبنى إنني يعلم الله قد أحببتك واعتبرتك مثل ولدى .

ابتسم وائل وقال : وأنا أعتبرك مثل أمي ...

هنا دخلت فتاة شعرها طويل كاد أن يصل لخصرها ، كانت بشرتها قمحية ولون عيونها عسلي ، إلا أنها كانت تتمتع بجاذبية عالية ، قوامها ممشوق . إنها من أجمل الفتيات التي قد رأتها عيناي مقارنة بالفتيات الأخرى اللاتى تقدمت لخطبتهنَّ .

قالت الفتاة في رقة وابتسامة هادئة : نورت المكان والبلد ، أتمنى أنك لا تكون قد تعبت في الطريق .

وائل : من ناحية التعب صراحة إني مرهق بعض الشيء ....

الفتاة : وأنا مقدرة تعبك هذا من أجلى فكم أنت إنسان رائع حقاً ..

ابتسم وائل وقال : وكم أنتِ جميلة حقاً

ابتسمت الأم وقالت : لعلها أعجبتك ؟!

فقال وائل : لابد إنها حتماً ستعجبني ، لأنها أبنة أم عظيمة .

الأم : كم أنت مجامل حقاً يا ابنى ....

ثم دعوه إلى مأدبة الطعام ، فجلس بمفرده منتظراً أن أحداً يأتي ليجلس معه ، ولكن لم يأتِ أحد بعد .....!

قال وائل : وماذا عنكما ؟

ابتسمت الأم : لقد سبقناك يا وائل ، لأنك تأخرت كثيراً علينا ، ونحن سامحنا لا نتحمل الجوع ، ولكننا سنتناول العشاء معاً بإذن الله .

وائل : حسناً .

بعد الأكل جاءه مكرم الأخ الآخر وجلس معه قليلاً يحدثه في مواضيع مختلفة وعامة ، لا يذكر وائل منها شيئاً ، ربما تحدث عن العمل وصعوبات الحياة ، إذا أردنا أن نضع عنواناً للحديث يعنى ، وبعدها قالوا لوائل : إن غرفتك جاهزة هل تريد أن تأخذ قسطاً يسيراً من الراحة .؟

وائل : لم أجيء إلى هنا حتى أنام ، وإنما جئت لأتعرف عليكم .

الأم : ولكنك أتيت من سفر بعيد يا بنى ، استغرق عدة ساعات طويلة ....

وائل : إن كل تعبى قد نسيته الآن ، وأنا جالس أتحدث إليكم .

ضحكت الفتاة ثم قالت : يمكنك أخذ قسط من الراحة ثم معاودة الحوار معنا .

وائل : حسناً إذا شعرت بالتعب سوف أخلد إلى النوم .

جلسوا يتحدثون معاً نحو ساعة من الزمن ، ثم استأذنه مكرم بالانصراف إلى عمله واعدٍ إياه بتناول وجبة العشاء معه .

ابتسم وائل وقال : إن شاء الله يا مكرم .

مضى الأخير إلى عمله ، بينما جلسوا الثلاثة فى الصالون ، بدأت الفتاة تحدثه عن : سوء حظها مع كل من تقدموا لخطبتها ...

قالت الأم : إن أحد ممن تقدموا لها لم يكن مناسباً بالمرة ، فقامت برفضه ولم توافق عليه ، فاغتاظت أخته وعملت لها سحراً بإيقاف حال ابنتها وتعطيل زواجها ، فالبعض يراها قردة والآخرون يرونها غوريلا ، بينما الذى يجيء منهم إلى هنا يمضى ولا يرجع مرة أخرى بعدها وكأنه اختفى من عالم الوجود ....

لقد تمت خطبتها ثلاث مرات قبل ذلك ، ولكن بسبب تلك الأعمال وهذا السحر اللعين لم تفلح آية خطبة منهم .....

استغرب وائل جداً من كلام هذه السيدة ثم سألها : هل أنتِ متأكدة من أن أبنتك سحر لها ؟

الأم : وهل يوجد عندك تفسير آخر غير هذا ؟

وائل : ربما يوجد عدة تفسيرات أخرى غير السحر ؟

الأم : وما إذن تفسيرك لموضوع ابنتي نسرين ؟

وائل : لا أستطيع أن أفسر ما قد حدث لها ، وأنا لست على دراية به ...!

نسرين : ماذا تقصد يا وائل ؟

وائل : أقصد أننى لابد أن أسمع منك ما حدث لك بالضبط ، حتى أستطيع أن أفسر تفسيراً واضحاً لتلك الأشياء ...

نسرين : هل لديك المتسع من الوقت لكى تسمعني ؟

وائل : أنا هنا فقط لكى أسمعك

نسرين : كم أنت رائع ، ولكنى لا أريد الإطالة عليك وأنت مجهد من السفر

وائل : وأنا أريدك أن تطيلي على ، تحدثي بكامل حريتك إني كلى آذان مصغية لك ، أنا متشوق لسماع قصتك ...

ابتسمت الأم وقالت فى خجل : سأتركك يا وائل تستمع لهذه الحكاوي والحواديت ، وسأذهب للمطبخ ، وإذا احتجت أي شيء فقط نادى على .....

وائل بابتسامة راضية : أشكرك يا أمى ، لا أظن إنني سأحتاج لشيء فنسرين هنا .

ذهبت الأم إلى مطبخها ، وساد الهدوء على الصالة ، نظر وائل للفتاة بابتسامة هادئة وقال : أخبريني عن معنى اسمك ؟

نسرين : اسمى فارسي الأصل معناه الزهرة البرية .....

وائل : ومن اسماك بهذا الاسم ؟

نسرين : إنها أمى ....

وائل : كم أنتِ جميلة حقاً يا نسرين .

نسرين : مرسيه لمجاملتك الرقيقة .

وائل : ولكنني لم أجامل ، أنا فقط أقول الحقيقة ....

ارتسم على وجه الفتاة ابتسامة خجل وداعبت شعرها الطويل ، ثم قالت له فى دلال : هل استغليت فرصة أن أمى ذهبت للمطبخ لكى تغازلني ، عندما تأتِ سأقول لها .

وائل : قولي لها إن وائل يصف ما قد شاهد فقط . والآن أخبريني إذا أردت عن حكاية أول خطيب لك ....

نسرين : كان وقتها عمرى ١٨ عاماً ، وكنت فى المرحلة الثانوية وكأي فتاة ريفية تخرج من تعليمها وتتزوج برجل يرعاها ويصونها ، وهكذا تم التخطيط لي أن أتزوج ابن عمى ، كان من قريتنا وكان يكبرني بحوالي عشر سنوات ولكنى لم أحبه قط ، أتخطبت له عدة أشهر ولكنى لم أجد لدى أي ميول ناحيته ، فقط هو كأخي إننا تربينا ونشأنا معاً . فكيف لي أن أتزوجه إذن ، هل من المعقول أن تتزوج الأخت أخاها ؟!

ابتسم وائل وقال : وماذا فعلتِ معه ؟

نسرين : أخبرته بالحقيقة وقلت له : ارفضنى أنت لو كنت حقاً تحبني ، لأنني لا أستطيع أن أرفضك فى أي حال ، لأن أبى كان شديداً جداً . وفتاة الريف ليس يوجد لها ما يقال فى مثل هذه الأحوال .

وائل : وماذا حدث ؟

نسرين : فى الحقيقة كان محترماً جداً ولبى طلبي وفعل مثلما قلت له ، وبعدها حصلت على شهادة الثانوية العامة ، وحاولت أمى إقناع أبى أن أكمل تعليمي الجامعي ، ولكنه كان رافضاً ، وبعد محاولات كثيرة أقتنع أخيراً ، وأكملت تعليمي الجامعي ودخلت معهد الخدمة الإجتماعية ، ولكنني لم أكن أحب الدراسة ولا الحفظ لأنها أمور ليس لها فائدة ولا آية منفعة .

وائل : من قال أن التعليم ليس له أي منفعة ....

نسرين : لأن الجميع يتعلمون والجميع يتخرجون ، ولكن الجميع لا يحصلون على وظائف . فما منفعة التعليم وتلك الشهادة مادمت لم أتوظف بها ؟

وائل : أرى أن فلسفتك نفعية في هذه الحياة ....

نسرين : بل واقعية على ما أظن .

وائل : ولكن التعليم يفتح الآفاق وينير العقل ويجعلنا نفكر بطريقة أفضل .

نسرين : وماذا بعد كل هذا ؟ الإجابة هى ولا شيء ....

وائل : أنا أتفق معك على أن التعليم يحتاج إلى تطوير فى المناهج وأساليب وطرق التدريس ، يحتاج إلى إعادة النظر فى بنيته الأساسية وجميع مكوناته ، ولكن لماذا ننظر إلى الجانب السلبي منه جانب الحفظ والمذاكرة ، يمكننا أن نراه بزاوية مختلفة

نسرين : وحتى إن نظرنا بزاوية مختلفة فما المنفعة منه أيضا ؟ إن التعليم لا يشبع جوعنا ، ولا يروى ظمأنا ، التعليم لا ينفق علينا ، ولا يأتينا بالمال ....

وائل : أنا اتفق معك فى أننا لا نأكل التعليم ، ولا نصرف به على أنفسنا ، ولكن لا تنسي أيضاً انه عامل أساسي فى حياتنا ، وأن هناك توظيفاً للتعليم والمهارات ولسوق العمل بالتحديد ، والشخص المميز هو من يعرف أن يوظف الإمكانيات المحيطة به لخدمته وخدمة الآخرين من حوله .

نسرين : هذا مجرد كلام إنشائي ، أخبرني كم من الناس يعملون فى مجال تخصصهم الذى قد درسوه ؟

وائل : فى الحقيقة ليس هناك إناس كثيرون أعرفهم .

نسرين : بل ليس هناك أحد من الأساس ، أنت أبسط مثال أمامي ، لقد بلغني أنك خريج كلية تجارة ....

وائل : صحيح

نسرين : وهل تعمل فى مجال تخصصك ؟ هل تعمل محاسباً ؟

وائل : فى الحقيقة لا . إنني أعمل فى إحدى شركات الأمن والحراسة .

نسرين : أرأيت هذا ما قصدته من كلامي ، لا أحد يعمل بمجال تخصصه . وبما أن الواقع كذلك فلماذا نحتاج إذن لهذا التعليم الذى نحشو به عقولنا من دون جدوي ...

وائل : كلامك هذا يدعو للجهل ، سامحيني إني أختلف مع رأيك هذا ، لابد أن يتعلم كل إنسان ، فالعلم كالماء والهواء مثلما قال الدكتور طه حسين ....

نسرين : ولكن التعليم فى ظل ظروف المحسوبية والوساطة ليس له قيمة .

وائل : معك حق فى ذلك ، ولكن ليس معنى هذا أننا نتوقف عن التعليم ولا نطور أنفسنا ما دامت الأمور هكذا .

نسرين : أنا لست ضد التعليم ولكنى أتساءل عن الفائدة العائدة منه ، إذا لم يكن له فوائد نفعية ، فلماذا أشغل رأسي به ؟

وائل : إذا لم يكن له فوائد نفعية من الناحية المادية فعلى الأقل له منافع أدبية وعلمية واجتماعية . تخيلي مثلاً لو كنت قد تقدمت لكى ، وأنا شخص جاهل لا أحمل أي شهادات وأنتِ من حملة التعليم العالي . هل كنت توافقين علىَّ ؟

ترددت الفتاة ثم قالت : ولكنك لست كذلك . لماذا أفرض أموراً ليست موجودة فى الواقع ؟

وائل : أجبينني من فضلك .

نسرين : لا أظن إني كنت سأوافق .

وائل : لماذا ؟

نسرين : لأنى وضعي الاجتماعي لا يسمح لي بمثل هذا .

وائل : حسناً أجبتى . لكن هل يوجد أسباب أخرى غير ذلك ؟

نسرين : تعطي إيماءة بأنها غير مستوعبة ...

وائل : يعنى هل كنت سترفضينني لمجرد وضعك الاجتماعي فقط ؟

نسرين : آه . ماذا أقول لأصدقائي ومعارفي ؟ أقول لهم إني ارتبطت بإنسان جاهل ، لا يحمل أي شهادات ، ربما كنت أقبل بتعليم فنى ولكن لا أتخيل نفسى أن أعاشر شخصاً لا يحمل أي شهادات ....

وائل : ربما تناولت القضية من الجانب الاجتماعى ، ولكن ربما لم تلفتي نظرك لأمر آخر ...

نسرين : وما هو إذن ؟

وائل : إنه التوافق الفكري . فحينها لا نستطيع أن نتحدث سوياً مثلما فعلنا الآن ...

نسرين : وما المانع من الحوار ؟

وائل : عدم التواصل الفكري ، هو الذى سيمنعنا .

نسرين : دعك من هذه القضية الآن ، هل تريد أن ترتاح ؟

وائل : فى الحقيقة وأنا معك لم أشعر بأي تعب ، فأنتِ ممتعة حقاً .

نسرين فى دلال : هل سيكون هذا رأيك فى دائماً ؟

وائل : نعم بالطبع

نسرين : هل لن ستغيره بعد الزواج وتزهق منى ؟

وائل : لا أغيره وأنتِ مسلية غير مملة بالمرة ...

ابتسمت نسرين وتساءلت : والآن ماذا سنفعل ؟

وائل : لنكمل الحوار

نسرين : أي حوار ؟

وائل : حوار العرسان الذين تقدموا لخطبتك ، حدثينى الآن عن العريس الثاني .

نسرين : كان فى الكلية معي وكان وحيداً ، تعرف على وأحبني ولكن ...

وائل : ولكن ماذا ؟

نسرين : كان على موعد حتى يجيء ويتقدم لي ، ولكن حدث له حادث كبير

وائل : وماذا بعد ذلك ؟

نسرين : دخل إلى المستشفى وبعد عدة أيام مات . لا أريد أن أذكر تفاصيل أكثر من ذلك . وهنا دمعت عيناها . فمد يده برفق وأعطاها منديل ، فنظرت له فى خضوع وقالت له : أنت طيب حقاً .

وائل : أنا أعتذر لك من كل قلبي إذا كنت تسببت لك فى تذكر ذكريات أليمة مثل هذه ...

نسرين : هل تعرف ماذا قيل وقت هذا الحادث ؟

وائل : فى الحقيقة لا أعلم .

نسرين : وقتها قيل لي إني شؤم وبومة وإني سيئة للغاية . صدقني يا وائل أننى ليس لى أي ذنب فى الذي قد حدث له .

وائل : أنا أعلم هذا ومتفهم الأمر جيداً ، والذى حدث له هو قضاء الله ، فلكل أجل كتاب ، وليس لك دخل فى موته ، تعددت الأسباب والموت واحد . ربما جاءه الموت فى سريره . ربما كان جوازه منك يجعلك تعيسة معه طيلة أيام حياتك ، ربما وربما ..... من منا يعلم حكمة الله فى ذلك ؟

ابتسمت نسرين ابتسامة رضا وأخذت تتنفس الصعداء ، ثم سألته : وأنت يا وائل ألم تحب أحد قط فى حياتك ؟

تفاجأ وائل من سؤالها هذا ثم قال : لقد كنت إنساناً جاداً فى حياتى ، لم أعط لنفسي الحق فى أن أتعلق بفتاة ما ، فقط كنت أحلم أن أكون أستاذاً بالجامعة ، هذا كان هدفى الوحيد الذى كنت أحاول تحقيقه ، كنت أذاكر ليلا ونهاراً ، والحمد لله حصلت على تقدير عال . إلا أننى لم أتمكن من العمل فى الجامعة ، نظراً لأسباب خاصة ليس هناك داع أن أذكرها ...

نسرين : ولكنى أفضل أن أعرف عنك كل شيء .

وائل : اتفقنا . كانت هناك بنت زميلة فى الدفعة ، كان والدها دكتوراً فى الجامعة ، فوجئت يوم النتيجة بحصولها على تقدير أعلى منى ، على الرغم من مستواها المتواضع ، فهي طالبة متوسطة التحصيل ، كيف تصبح الأولى على دفعتنا ....!

نسرين : إن الوساطة والمحسوبية قد تفعلان كل شيء ....

وائل : بالضبط هذا ما حدث . ولكنى الآن أبحث عن عمل فى تخصصي ، وأنتظر أي مسابقة حكومية لكى ألتحق بها .

نسرين : الله قادر أن يوفقك يا وائل ، ولكن لماذا لم ترفع قضية على هذا الدكتور ؟

وائل : لأن موقفه قانونى بنسبة ١٠٠%

نسرين : كيف وهو مزور للنتائج ؟

وائل : لم يكن التزوير بالمعنى الحرفي له ، وإنما جعل ابنته تحصل على تقدير عال

نسرين : ولكن قدراتها لا تعطيها كل هذه الدرجات ....

وائل : وكيف سأثبت ذلك ؟ الحمد لله أن الدكتور لم يجعلني أرسب فى مادته ، بل اكتفى بإعطائي تقدير مقبول .

نسرين : وماذا بعد الكلية ؟

وائل : لا شيء كنت أفكر فى الالتحاق بعمل مناسب ، حتى يتوفر لي مصدر دخل ثابت أعيش منه وأنفق على نفسي . لم أفكر فى شيء آخر غير ذلك ، خصوصاً أن وقتها كنت لا أمتلك شقة أستطيع أن أتزوج بها ...

نسرين : هل تريد أن تقنعني بأنك لم تحب من قبل ؟

وائل : لم يكن حباً بمعنى الحب ، ربما كان نوعاً من الإعجاب ؟

نسرين : وماذا حدث بعد الإعجاب ؟

وائل : لا شيء ...

نسرين : ولماذا لم تتخذ خطوة جادة مع هذه الفتاة ؟

وائل : لأنه كان إعجاباً وليس حباً ، كما أننى ذهبت لأداء الخدمة العسكرية ، وبعد رجوعي وجدت أن الفتاة قد تزوجت ، ورزقها الله بطفلة جميلة .

نسرين : هل كانت الفتاة تعلم بأنك معجب بها ؟

وائل : بالطبع لا ، فأنا لا أقبل بتعليق الأمور .

نسرين : هل ندمت على إنها تزوجت بغيرك ؟

وائل : ما هذا الكلام يا نسرين ؟ ! . إن الله يعلم مقدار ما فرحت من أجلها ....

نسرين : أنت إنسان طيب القلب يا وائل .

وائل : أشكرك يا نسرين ، إذا كان الله قد سمح بزواجها ، فهي إذن ليست لي ، فلماذا أغضب أو أحزن عليها ، إنها ليست من قسمتي ، فليس لها نصيب أن تأكل من لقمة عيشي .....

نسرين : معك حق يا وائل ، لعلى أكون أنا من نصيبك إذن .

وائل : إن شاء الله ، إذا أردتِ هذا فسيكون لك

نسرين : صدقني يا وائل إنى في كل مرة كنت أريد ولكن

وائل : ولكن النصيب لم يأتِ بعد ...

نسرين : ومتى سيأتي إذن ؟

وائل بابتسامة : لقد أتى وهو الآن أمامك

نسرين : هل غلبك النعاس ؟

وائل : إن الجلوس معك يجعل النعاس يفر من عيني .

نسرين : هل تود أن أخبرك بقصة الخطيب الأخير ، أم نكتفى بذلك القدر ؟

وائل : مثلما تريدين يا نسرين .

نسرين : حسناً سأرويها لك .....

كان شاباً وسيماً يكبرني فى العمر بحوالي ثلاث سنوات ، كان يحبني جداً ، وكان حساساً لأبعد الحدود .

وائل باستغراب : إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لم تستمرى معه ؟!

نسرين : لا أنكر إنني كنت أحبه وأود الاستمرار معه ولكن ...

وائل : ولكن ماذا ؟

نسرين : فى ذات يوم اتفق أن نحضر معاً عيد ميلاد إحدى صديقاتي ، وأثناء حفلة عيد الميلاد طلب منى أحد الحاضرين أن أتصور معه ، فوافقت لأنه كان أحد معارفي ، بينما هو رفض بشدة وشدني من يدى بعنف ، ثم صرخ فى وجهى بصوت عال ، وأجبرني على ترك الرحيل ومغادرة الحفلة ، صراحة لم أحتمل الموقف ، بل انفجرت الدموع من عيني ، لقد أحرجني أمام صديقتي وأمام جمهور الواقفين ...

وائل : ولكن سامحيني يا نسرين ، فهو محق فى تصرفه هذا .

نسرين : من أعطاه الحق فى أن يتعامل معي بهذه القسوة ، وأن يحرجني أمام الآخرين

وائل : ربما ، لا يحب أن خطيبته تتحدث أو تتصور مع آخرين .

نسرين : ولكنه لم يشتريني أو يجعلني عبدة له .

وائل : إن الحب ليس نوعاً من الاستعباد ، بل نوع من الخوف على الحبيب ....

نسرين : لا إنه الامتلاك فحسب ، فى كل خروج معه كان ينغص على حياتي ، إذا نظرت لأحد المارين فى الشارع يقول لي : من ذا الذى تنظرينه ؟

إذا تحدثت فى الهاتف يسألني : مع من تتحدثين ؟

لقد كان يحاسبني على الصغيرة قبل الكبيرة ، إنه مجرد خطيب وليس رقيباً علىَّ ..

وائل : لا إنه خطيبك ورقيب عليك .

نسرين بانفعال : لماذا تدافع عنه هكذا ؟ ، بالطبع لأنك رجل مثله .

وائل : انى أدافع عن الأصول والأعراف . هل تريدين أن أجاملك وأقول إنه قد أخطأ فى حقك ؟

نسرين : لا ، أريدك أن تقول الحق فقط .

وائل : الحق أن المرأة تابعة للرجل ، فهي مسئولة منه بعد والديها ، وإن كان قد أساء التصرف فى فعله هذا ، إلا أنه غير مخطىء فى كونه يحاول الحفاظ عليك وعلى خصوصيته .

نسرين : شكلك دقة قديمة مثله وستتعبني معك .

وائل : إن كانت الأصول والأعراف والتقاليد دقة قديمة يا نسرين ، فاحسبيني كذلك

نسرين : لست أقصد ذلك ، إنما كنت أمزح معك فحسب .

وائل : على آية حال ، أنا هنا حتى نتعرف على شخصية بعض ، وإننا مازلنا على البر ، فلا يوجد ارتباط بيننا حتى هذه اللحظة ، لذا لابد أن تفكري جيداً قبل أن ترتبطي بي أنا أيضاً ، أقول هذا من باب الأخوة ، أفضل عندي أن ترفضيني خير من أن ترتبطي بي وتكون النتيجة مثل السابقين أيضاً .

هنا جاء الأخوان نادر ومكرم معاً بعد انتهاء عملهم ، نظر نادر لأخته وسألها : أين أمك ؟

فأجابت نسرين : لقد ذهبت لتعد العشاء فى المطبخ . فنادى عليها مكرم قائلاً : يا أمى يا أم نادر

فأجابت الأم : نعم يا مكرم أنا هنا ، لقد جهزت كل شيء ، فقط أرسل لي نسرين لتقوم بوضع الطعام على المائدة .

ابتسم مكرم ونظر لأخته وقال : هل سمعت ؟

نسرين : نعم سمعت . ثم قامت وذهبت للمطبخ . بينما دعا نادر وائل للجلوس على مأدبة الطعام ، حيث تناول الجميع العشاء معاً .

وبعد الانتهاء من شرب الشاي ، استأذنت الأم من وائل وأخذت الفتاة وذهبت إلى شقتها ، حيث تأخر الوقت إنها الثانية عشر بعد منتصف الليل.

بينما ظل وائل جالساً يتحدث مع الأخوين حوالى نصف ساعة . ثم ابتسم نادر الأخ الأكبر وسلم عليهما وأنصرف هو أيضاً لشقته .

سأل مكرم وائل قائلاً : هل أخذت قسطاً من الراحة ؟

فقال وائل وتبدو على وجهه علامات الخجل : فى الحقيقة لا .

مكرم : إذن حان الوقت حتى تستريح . ثم أشار بيده نحو الغرفة التى على اليسار ، وقال له : يمكنك النوم هنا حتى الصباح .

شكر وائل مكرم على واجب الضيافة ، ثم ذهب إلى الغرفة .

وفى الصباح الباكر استيقظ من نومه ، وجاءت الأم تدعوه لتناول وجبة الإفطار ، فجلس على المائدة منتظراً نسرين ، إلا إنها لم تحضر . فسأل أمها عنها ، فقالت بابتسامة رقيقة : إنها مازالت نائمة ، ربما أنت الذى سهرتها يا وائل ، وهى لم تعتد السهر ، ستنام يومين على أقل واجب .

وائل بابتسامة : إن الحديث معها كان ممتعاً حقاً ، كم هى جميلة مثلك ...

الأم : أشكرك يا أبنى على هذه المجاملة ، سأقوم بإحضار الشاي .

وائل : ليس هناك داع يا أمى ، فيكفى تعبك هذا فى تجهيز الإفطار .

الأم : لا يوجد تعب يا ابنى ، فهذا هو الواجب .

ذهبت الأم إلى المطبخ لعمل الشاي ، بينما أخذ وائل يفكر قائلاً : هل الفتاة حقاً نائمة كما تقول أمها ؟ أم إنها تدعى هذا للتهرب منى ؟

لعلها تضايقت منى عندما دافعت عن الحق ، وظنت أننى قد انحزت لخطيبها السابق....

دخلت الأم ومعها كوبان من الشاي الساخن ، كانت تفوح منهما رائحة النعناع ، تناول وائل الكوب منها فى شكر وعرفان وذاق الشاي . ثم قال لها : تسلم يديك يا أمى .

الأم : العفو يا أبنى .

وائل : هل حجز لي نادر موعداً فى (السوبر جيت) .

الأم : ولماذا أنت تستعجل الرحيل يا ولدى ؟

وائل : أنا أشكر حضرتك على هذه الضيافة الجميلة ، ودائما بيتك مفتوح بحسك . ولكن لابد أن أرجع لبلدي ولعملي أيضاً فأنا متغيب عنه منذ أمس .

الأم : إذا كانت هذه رغبتك يا ابنى ، حسناً سأتصل به حالاً ...

تناولت الأم كوبي الشاي ، وذهبت لغسلهما في المطبخ ، وبعد حوالى خمسة دقائق قالت له : لقد أتصلت به من البلكونة . لأن الشبكة هنا سيئة للغاية .

وائل : وماذا قال لك ؟

الأم : قال إنه سيحجز موعداً في الثانية عشر بعد الظهر .

وائل : حسناً هذا موعد مناسب جداً ، حتى أستطيع أن أصل فى المساء ، لكى أستريح ، لأن غداً إن شاء الله عملي سيكون باكراً ...

الأم : ربنا يسهل طريقك يا ابنى ويدبر أمورك .

وائل : تعيشي يا أمي ، ولكن ...

الأم : ولكن ماذا ؟

وائل : هل سأمضى دون أن أودع نسرين ؟

الأم : حسناً سأدخل إليها الغرفة أحاول أن أيقظها ...

دخلت الأم إليها وسمع وائل صوت حديث دار بينهما ، ولكنه لم يستطع أن يميز الكلمات لأن الباب كان مغلقاً . وبعد حوالى ربع ساعة خرجت الأم فى ابتسامة متصنعة حيث قالت : سامحني يا ابنى ، حاولت إيقاظها ولكن نومها ثقيل جداً .

وائل فى حزن : ليس عليك الاعتذار يا أمي ، وشكراً لواجب الضيافة ، إلى اللقاء ..

نزل وائل من البيت ، حيث كان فى انتظاره نادر أخوها ، الذى لم يتفوه بكلمة واحدة طوال الطريق ، وإنما كل ما قاله له : توصل بالسلامة يا وائل ، سنرد عليك خلال أسبوع إن شاء الله ....

وطبعاً جاءه الرد الذى كان يتوقعه ، لقد تم رفضه دون سبب واضح من قبل الفتاة ..

اعتذر وائل لنفسه على سوء اختياره لبعض البشر . فإن تدفن الحب فى قلبك أفضل من أن تعطيه لمن لا يستحق ....

+ النهاية :

أدرك وائل بعد هذه التجارب السابقة ، أن جميع الفتيات اللاتي تقدم لهن لم يكن مناسبات له بالمرة . وأن حكمة الله قد فاقت بكثير حكمة البشر .....

يقول وائل : لا شيء ثابت في أيامى ، كل ما قلت عنه أنه سيستمر ، أستيقظ في اليوم التالي ولا أجد أثراً له ، الآن اعتدت على فكرة اختفاء الأشخاص من حولي دون سبب واضح .... !

لا يوجد نهايات للحب ، إن الحب الذى ينتهى لم يكن في يوم ما حباً ....

تساءل وائل قائلاً : أين يجد تلك الفتاة الفاضلة ، التي ثمنها قد يفوق اللآلئ ؟

لعل الفضيلة انقرضت في ذلك العصر ؟

أين يجد الحب المبنى على الرباط المقدس ؟ رباط العشرة والصداقة والطيبة ....

أين يجد الحب غير المشروط بإمكانيات أو قدرات ... ؟

إذا كان الزواج حقاً قسمة ونصيباً فأين هو نصيبه إذن ؟

وإذا كان نوعاً من الاختيار فأين يجد اختياره ...؟!

ولو كان ضرباً من ضروب الحظ فأين حظه هو ؟

هل صعب طلبه ، أن يجد من يحبها وتحبه ؟

هل من المستحيل أن يجد فتاة واحدة فقط تفهمه ؟!

هل يبحث وائل عن فتاة تشبهه في صفاته ؟ . أم يبحث عن شخصية مختلفة حتى تكمله ؟!

أين يجدها ؟

الإجابة : متروكة لك يا عزيزي القارئ .....